



الخميس 6 نوفمبر 2014 12:11 م

بقلم - محمد ثابت

قبل أن أقوم من نومي في ليل الغربة، المتقطع النوم، واخشى أن أقول المنعدم النوم، أخبرتني زوجتي أن ثمانية عشر طفلاً جديداً من خيرة

أبناء وتلامذة، وشباب مصر الواعد على الطريق احترقت بهم حافلة، أتوبيس، على الطريق الزراعي المؤدي إلى الإسكندرية، مشاهد استشهد عشرة فتيات على الأقل من جامعة سوهاج الأسبوع الماضي، ما تزال صورهن بين الجفن، وإنسان العين، إلى جوار (بؤبؤ النظر)، تخيلتهن يوم علمت بوفاتهن، زهرات من زهور الحياة الدنيا، كل واحدة فيهن قرّة عين بل قلب أب وأم و(عشيرة) وعزوة وأهل، درجت على الدرب، شبت، فأحبها الجميع، أجهدت وتعلمت وتعلمت، وتنتظر التخرج لتسعد زوجاً وتنجب أطفالاً

أتخيل حسرة قلب أمهات، ذهبت البنات إلى الجامعة لينلن مزيداً من العلم، ويعرفن كيف يربين أبناً، أو يهذين ابنة، أو حتى يأتين بقرش يأخذ بيد أب (هذه) العمر، ولعل فيهن من هي على وشك الزواج، بل لعل منهن من تخرج بعد الوصول إلى البيت، تحمل طعام الغذاء إلى أخ أنهكه العمل في الحقل

ترى هل تهامسن أثناء صعودهن الميكروباس أو المواصلة التي قادتهم إلى النهاية؟ هل تحدثن عن الزوج القادم وكيف يتمنيه؟

أم لم يرق لهن هذا الحديث فحلمن بالغد للصعيد ولسوهاج ولمصر والعالم؟ أكاد أشك في أن واحدة منهم لم تتخيل أن الموت يترصدهن وأن ما عند الله خير لهن وأبقى وأقوم

أتحسس مكاني، قلبي هناك عند أكثر من أم تلعن العسكر والسياسي، ولا تعرج على الرئيس مرسي إلا بالخير، لا كما يصور لنا مأجوري الكتاب، أو من يحملون المواخير للعسكر، ولهم معنا حديث قريب

قلبي هناك والأهل يسدون فم الأم لكيلا يكون موتاً وخراباً للديار لئلا يجيء العسكر مساءً فيعتقلنها وهو ما ليس بالكثير عليهن

بل إن روحي تحلق الآن فوق بيوت الفلاحين، والبسطاء، والبالغى الفقر في محافظة البحيرة، وأعرف سبباً وجيهاً لإلحاق الصغار بالمدارس الفندقية، العمل شبه مضمون، في مجال فندقى، والدراسة إن كانت بمصاريف إلا أن الابن يجد عملاً قريباً، وليس بعد حين بعيد من تخرجه

ما بالنّا يا مصر نهبك حبات قلوبنا، ونعمل فوق أراضيك، كما ينبغي ان يكون العمل، فنجد أنفسنا إما موتى، أو محروقين، في رابعة كما في طريق الإسكندرية الزراعي صباح اليوم؟

ماذا دهاك يا وطني .. تطرد عشرات العشرات بل آلاف من خيرة شبابك من أجل أوهام وترهات، وخرافات أحاديث قائد العسكر، وشعوره المتنامي بأنه نجح في أن يكون شيئاً وهو يعرف مقدار تفاهته وعدم وجود حجم له؟

إنه ليحزنني يا وطني التأكيد أنك لست بخير وإنه رغم ألم الفراق والاحتراق والموت لن تكون تلك الحوادث هي الأخيرة على الطرق، ولسوف نبكي في الغربة مقهورين كما تبكي عيون الأهل في مصر مقهورة أيضاً

حم الله كل تلميذ مات ..

ولا رحم المسؤولين عن موتهم كبيراً وصغيراً

عُخِفَ عن أهليهم

وأقر أعيننا برؤية العدل يزهو بالخطو فوق ربوعنا من جديد

وتسقط كل أمانى العسكر ..

وعما قليل يسقط حكم العسكر الذي يتفنن في قتل مصر والمصريين

